

# القابسي وأراؤه التربوية

أ.م.د. ندى عبد الرزاق محمود الجيلوي\*



● المقدمة:

يتناول بحثنا الموسوم بـ « القابسي وأراؤه التربوية » لأبي الحسن القابسي (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م)، المحدث، الحافظ، الفقيه، المتكلم، وهو من أعلام العرب المسلمين في القرن ٤هـ / ١٠م في المغرب العربي. ومن مؤلفاته كانت « الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين»، في أصول التربية وطرائق التعليم والتعلم والتي تناولنا منها بعض آرائه التربوية في بحثنا هذا .

وجاءت أهمية هذا الموضوع من خلال آراء القابسي التربوية التي قد سلمت بها فكان التعليم، والمعلم، والمتعلم، ومحتويات التعليم في عصره وهو القرن ٤هـ / ١٠م، فكان يربط ويتناول كل الروابط والعلاقات التي تمثل المؤسسة التربوية (المعلم والمتعلم) وأحكامها والمجتمع والأسرة بجدلية العلم والمرتكز الثقافي التعليمي في ذلك العصر.

وعبر اختيار هذا الموضوع «القابسي وأراؤه التربوية» الذي يخص أسس التربية والمجتمع؛ لان التربية ظاهرة اجتماعية تعليمية ووظيفة تخص الوسطين الأسري والاجتماعي، وتتغير بتغير العصور واختلاف الظروف وتطور المجتمع، فتتجدد أنظمتها وفقا لأنظمة المجتمع وعلى مر الأزمنة وعلى ضوء أهدافها التعليمية والتربوية من اجل تكوين الفرد والمجتمع في آن واحد.

\* باحثة في وزارة التربية



طالما تكرر التساؤل، هل للعرب اهتمام بالتربية؟ وهل يجد مفكرو العرب في التربية موضوعا للتدبير والتفكير؟ ومن هم مفكرو التربية العربية الإسلامية؟ والجواب يوجد الكثير من أهل الفكر والمواظ والاجتهاد ومن اليهم قضايا وموضوعات تربوية (كابن سحنون، والجاحظ، والغزالي وابن مسكويه، وابن خلدون، وغيرهم)، ومنهم « القابسي » وهو نموذج من أعلام التربية في العالم العربي الإسلامي، من خلال تطرقه لموضوعات تربوية تتعلق بأدب الدين والدنيا وقضايا التلقين والتكوين وشؤون وأحكام العلم والمعلم والمتعلم.

ومن المصادر التي اعتمدت عليها في البحث: رسالة القابسي «الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين»، و «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك» للقاضي عياض، و «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» لابن خلكان، و «الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب» لابن فرحون، و «معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان» للتنوخي، وغيرها من كتب المصادر والمراجع.

وأخيرا أرجو ان أكون قد قدمت قدر استطاعتي وجهدي « القابسي وأراؤه التربوية» بالقدر الذي يسمح به نطاق البحث وأهميته في تاريخ التربية العربية الإسلامية .

## ●أولا: التعريف بالقابسي:

### ١- اسمه ونسبه ولقبه

هو أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القروي القابسي<sup>(١)</sup>، القيرواني، المحدث، الحافظ، الفقيه، المتكلم، شيخ المالكية<sup>(٢)</sup>، باتفاق جميع من ترجم له.

وإنما الاختلاف أو الخلاف بينهم كان على كنيته ولقبه، أهو القابسي أم ابن القابسي؟ فمنهم من ذكره بـ «القابسي»<sup>(٣)</sup>، ومنهم من ذكره بـ «ابن القابسي»<sup>(٤)</sup>، والسؤال الذي يطرح إذا كان قابسيا فلماذا سمي أيضا بـ « المعافري» كما ذكره بعض منهم؟ ويرجع نسبه المعافري على الأرجح إلى قرية المعافرين التي ينتسب إليها، وكانت ضاحية من ضواحي تونس<sup>(٥)</sup>. ولماذا ينسب إلى القيروان؟ فكل من القاضي عياض والصفدي يذكر انه لم يكن قابسيا، وإنما جاء ذلك عن طريق عمه الذي كان يشد عمامته شد القابسيين فسمي ذلك وهو قيرواني الأصل «ولم يكن أبو الحسن قابسياً وإنما كان له عم يشد عمامته مثل القابسيين فسمي بذلك،....»<sup>(٦)</sup> وقال القابسي بقوله إلى أبو بكر الصقلي: «كُذِبَ عليَّ وعليكَ وسموني بالقابسي وما أنا بالقابسي وإنما السبب في ذلك ان عمي كان يشد عمامته شدة قابسية فقبل لعمي قابسي واشتهرنا بذلك، وإلا فانا قروي»<sup>(٧)</sup>، ومن هنا جاء لقبه «القابسي» الذي اشتهر به.

ويختلف عنهم صاحب كتاب معالم الأعيان

في قوله: «المعروف بابن القابسي يقتضي ان والده كان من أهل قابس»، ويوضح بان والده من أهل قابس، «فإما انه أتى القيروان وتزوج بها.... واما ان يكون أتى به صغيراً»<sup>(٨)</sup>، ثم أضاف قائلاً: «ولما وليت قضاء قابس وجدت بقربها قرية خالية تسمى بالمعافرين وفيها مسجد يقصد الناس الصلاة فيه تبركا به ويقصدونه... يقال له مسجد سيدي علي»<sup>(٩)</sup> ويقصد به القابسي.

#### ٢- مولده:

ولد القابسي في يوم الاثنين ٦ رجب سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م<sup>(١٠)</sup>.

#### ٣- رحلته:

اتفق المؤرخون في رحلته إلى المشرق سنة ٣٥٢هـ/ ٩٦٣م، وحج سنة ٣٥٣هـ/ ٩٦٤م «وسمع كتاب البخاري بمكة من أبي زيد»، ورجع إلى القيروان سنة ٣٥٧هـ/ ٩٦٨م<sup>(١١)</sup>، وقبل عودته إلى القيروان أقام وسمع بمصر<sup>(١٢)</sup>، أي انه بقي في رحلته إلى المشرق خمس سنين<sup>(١٣)</sup>.

#### ٤- شيوخه وتلاميذه:

من شيوخ القابسي الذين تتلمذ وسمع منهم وحسب ما ذكره القاضي عياض<sup>(١٤)</sup> بقوله: «سمع من رجال افريقية أبي العباس الابياني، وأبي الحسن ابن مسرور الدباغ، وأبي عبد الله مسرور الغسال، وأبي محمد ابن مسرور الحجام، ودارس ابن إسماعيل

الفاسي، والسدري»، وأيضا سمع عن محدثي وفقهاء بمصر ومكة، ومنهم: «حمزة بن محمد الكناني، وأبو الحسن التلبناني، وابن أبي الشريف، وابن زيد المروزي،.... وأبو الحسن الأسيوطي» وغيرهم<sup>(١٥)</sup>.

اما تلاميذه فمنهم من روى عنه، وتفقه عليه، وسمع منه، ومن تفقه عليه: أبو عمران الفاسي، وأبو القاسم البيري، وأبو بكر عتيق السوسي، وأبو حفص العطار، وغيرهم. ومن روى عنه: أبو بكر عتيق السوسي، وأبو القاسم ابن الحساري، وابن سمحان، وابن أبي طالب العابد، وغيرهم، ومن الأندلسيين ممن روى عنه ومنهم: المهلب ابن أبي صفرة، وحاتم بن محمد الطرابلسي، وأبو عمر المغربي<sup>(١٦)</sup>، ومن سمع منه: أبو عمرو عثمان بن سعيد المغربي المعروف بابن الصيرفي<sup>(١٧)</sup>، ابن أبي صفرة وغيرهم<sup>(١٨)</sup>.

#### ٥- صفاته وعلمه:

تميز القابسي بصفات المؤرخ والمحدث والفقهاء الحافظ الزاهد الورع، حيث كتب إليه شيخه أبو بكر ابن خلدان قائلاً عنه: «وكان واسع الرواية عالما بالحديث وعلله ورجاله فقيها أصوليا متكلما مؤلفا مجيدا»<sup>(١٩)</sup>، ووصفه أيضا بقوله: «وكان من الصالحين المتقين الزاهدين الخائفين، وكان أعمى لا يرى شيئا وهو مع ذلك من اصح الناس كتبا وأجودها ضبطا وتقييدا، يضبط كتبه بين



يديه ثقات أصحابه»<sup>(٢٠)</sup>، وذكره ابن كثير: «وقد كان حافظاً بارعاً في علم الحديث، رجلاً صالحاً جليل القدر»<sup>(٢١)</sup>، وكذلك ذكره ابن الجزري: «أقرا الناس بالقيروان دهرًا.... وشغل نفسه بالحديث والفقہ إلى أن رأس فيهما وبرع»<sup>(٢٢)</sup>.

ومن ثناء العلماء عليه: «كان عالماً عاملاً جمع العلم والعبادة والورع والزهد والاشفاق والخشية ورقة القلب ونزاهة النفس ومحبة الفقراء حافظاً لكتاب الله ومعانيه وإحكامه حافظاً للسنة عالماً بعلوم الحديث والفقہ واختلاف الناس سلم له أهل عصره ونظراؤه في العلم والدين....»<sup>(٢٣)</sup>.

وكانت للقابسي قدر ومكانة ومنهم من يعظمه بقوله: «الشيخ أبو الحسن لا يحاسب على مكيال ولا ميزان. وإن كان لا يدخل الجنة إلا مثل أبي الحسن فما يدخلها منا احد»<sup>(٢٤)</sup>، وكان اعلم من بقي في القيروان في الفتوى وقد أغلق بابه عن الناس حتى وصل الأمر إلى كسر بابه فخرج إليهم ينشد<sup>(٢٥)</sup>:

**لعمري أبيك ما نُسب المعلى**

**إلى كرم وفي الدنيا كريم  
ولكن البلاد إذا اقشعرت**

**وصوّح نبتها رعي الهشيم**

فبكى وأبكى القوم وقال: «أنا الهشيم أنا الهشيم.....»<sup>(٢٦)</sup>، «وكان زاهدا ورعا مقلدا، وكان أهل القيروان يفضلونه ويأخذون عنه»<sup>(٢٧)</sup>.

وقد وصفه حاتم الطرابلسي صاحبه بقوله: «كان أبو الحسن فقيها ورعا متقللاً من الدنيا، لم أرَ أحداً مِمَّ يشار إليه بالقيروان بعلم إلا وقد جاء اسمه عنده واخذ عنه، يعترف الجميع بحقه ولا ينكر فضله»<sup>(٢٨)</sup>.

وجاء محمد ابن عمار الهوزني وذكره في رسالته فقال: «متأخر في زمانه متقدم في شأنه العلم والعمل والرواية والدراسة، من ذوي الاجتهاد في العباد والزهاد مجاب الدعوة، له مناقب يضيق عنها الكتاب، عالم بالأصول والفروع والحديث وغير ذلك من الرقائق»<sup>(٢٩)</sup>.

#### ٦- مؤلفاته:

بعض المؤرخين ممن ذكروا مؤلفات القابسي ومنهم: القاضي عياض وابن فرحون حيث ذكروا له ١٤ مؤلفاً، وهي:

كتاب المهذب في الفقہ، وإحكام الديانة، وكتاب المنقذ من شبه التأويل، وكتابه المنبه للفظن من غوائل الفتن، والرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين، وكتاب الاعتقادات، وكتاب مناسك الحج، وكتاب الذكر والدعاء، ورسالة كشف المقالة في التوبة، وكتاب ملخص الموطأ، وكتاب رتب العلم وأحوال أهله، وكتاب أحمية الحصون، ورسالة تزكية الشهود وتجريحهم، ورسالة في الورع<sup>(٣٠)</sup>.

وكل مؤلفاته في الفقہ والحديث والمواعظ باستثناء واحد منها افرده القابسي لشؤون التعليم في الإسلام وهي «الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين».

عن تفسير الإيمان والإسلام والإحسان وعن الاستقامة وصفة الصلاح، وفضل تعلم القرآن الكريم وتعليمه، وفي الجزء الثاني بين فيما يأخذه المعلمون على المتعلمين، وسياسة معلم الصبيان، أما في الجزء الثالث فتطرق إلى الأحكام بين المعلمين والصبيان<sup>(٤٠)</sup>.

### ● الغرض من التعليم

#### معرفة الدين علما وعملا:

يجعل القابسي من تعليم القرآن الكريم غرضا هاما لتعليم الصبيان، فالقرآن ضرورة لمعرفة الدين، والصلاة لا تتم إلا بقراءة شيء من القرآن الكريم، وهي مفروضة على المسلمين لأنها ركن من أركان الدين. وهو يتفق مع غيره من علماء المسلمين في ان الغرض الأول من تعليم الصبيان هو معرفة الدين الإسلامي علما وعملا أو نظرا وتطبيقا وممارسة<sup>(٤١)</sup>. ولذلك يقول القابسي: «إن حكم الولد في الدين حكم والده ما دام طفلا صغيراً. أفيدع ابنه الصغير لا يعلمه الدين، وتعليمه القرآن يؤكد له معرفة الدين»<sup>(٤٢)</sup>.

### ● وجوب تعليم الصبيان:

يتعرض القابسي لقضية وهي قضية القول بضرورة تعليم جميع الصبيان، فتعليمهم واجب وجوبا شرعيا. وهو يدل على هذا الوجوب بوجوب معرفة القرآن الكريم والعبادات وان ما لا يتم الواجب إلا به فهو

وقد صنفها في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وضاع الأصل وبقيت منه نسخة خطية فريدة ترجع إلى عام ٧٠٦هـ/١٣٠٦م، محفوظة بالمكتبة الأهلية في باريس تحت رقم (٤٥٩٥)<sup>(٣١)</sup>. وطبعت وتم نشرها في القاهرة سنة ١٩٤٥م<sup>(٣٢)</sup>، والتي اعتمدنا عليها في بحثنا هذا.

ومنهم من ذكر بعضاً من مؤلفاته: كالذهبي<sup>(٣٣)</sup>، والصفدي<sup>(٣٤)</sup>، والتنوخى<sup>(٣٥)</sup>، البغدادي<sup>(٣٦)</sup>.

### ٧-وفاته:

توفي القابسي ليلة الأربعاء ٣ ربيع الآخر سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م عن عمر ثمانين سنة في القيروان<sup>(٣٧)</sup>، وقد ذكر ابن خلكان في وفاته بقوله: «وبات عند قبره من الناس خلق عظيم، وضربت الاخبية، واقبل الشعراء بالمراثي، رحمه الله تعالى»<sup>(٣٨)</sup>.

ولما طعن بالسنن كان يردد قول زهير بن أبي سلمى المزني<sup>(٣٩)</sup>:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش  
ثمانين حولاً لا أباً لك يسأم

### ● ثانياً: آراء القابسي التربوية:

تصدى القابسي في رسالته «الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين» إلى الكلام عن تعليم الصبيان من حيث أغراضه ومناهجه وطرق تدريسه وأماكنه ومراحله. كما تحدث عن بعض الأحكام الخاصة بالمعلم. وقد تناول القابسي في الجزء الأول من رسالته



واجب. ولذا كان التعليم واجبا لأنه شرط معرفة القرآن الكريم والعبادات. وهكذا نجد ان بذور فكرة التعليم الإجباري الإلزامي عند القابسي<sup>(٤٣)</sup>. وقد كان صريحا كما كان جريئا فيها. وقد استقر هذا المبدأ عند فقهاء المسلمين فيما بعد عندما أصبح طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة. وتقتضي ضرورة تعليم الصبيان ان يكون الوالد مكلفا بتعليم ابنه بنفسه، فان لم يستطع فعليه ان يرسله لتلقي العلم. فإذا لم يكن قادرا على ذلك قام بتكليف أقربائه. فإذا عجز الأهل عن نفقة التعليم قام به المحسنون أو قام معلم الكتاب بتعليم الفقراء احتسابا لوجه الله. أو دفع لهم الحاكم اجر تعليمهم من بيت المال، وهكذا يتحقق تعليم كل المسلمين بصرف النظر عن الغني أو الفقير<sup>(٤٤)</sup>.

### ● تعليم الأنثى حق:

يعترف القابسي بحق الأنثى في التعليم انطلاقا من ان التكليف الدينية واجبة على الرجل والمرأة. وهو بهذا يتفق مع روح الإسلام الحقيقية التي جعلت من طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة على حد سواء، إلا انه ذهب إلى عدم الخلط بين الصبيان والإناث، وينبغي ان تعلم الأنثى ما فيه صلاحها وما يبعدها عن الفتنة<sup>(٤٥)</sup>.

### ● الدين أصل الأخلاق:

يعتبر القابسي الدين أصل الأخلاق. فالدين

أساس التربية الخلقية في الإسلام، لذلك يجب ان يعمل التعليم على تهذيب الأخلاق، وأساس الأخلاق عنده الضمير الخلقى الحي المستمد من الدين الذي يعتمد على ما ورد عن النبي (ص) عندما سئل ما الإحسان قال: «ان تعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه فإنه يراك»<sup>(٤٦)</sup>. ويكون اكتساب الأخلاق عن طريق التعليم والقدوة، ولذلك كانت سيرة الرسول (ص) ذات فائدة تعليمية خلقية عظيمة<sup>(٤٧)</sup>. قال تعالى: [وَمَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا] <sup>(٤٨)</sup>. وقال تعالى: [لَقَدْ كَانَتْ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ] <sup>(٤٩)</sup>.

### ● الفضائل والردائل:

ان الفضائل من تمام كمال الإنسان، وقد تنبه القابسي إلى اثر تكوين العادة في اكتساب الفضائل لدى الإنسان. ولذا يوصي المعلم بتوجيه الصبيان إلى العادات الحسنة وإبعادهم عن العادات الرذيلة. وأولى الصفات الطيبة التي يتحلّى بها الصبيان في نظره الطاعة، وهي ليست واجبة عليهم نحو المعلم فحسب، بل هي واجبة نحو الله والرسول وأولي الأمر<sup>(٥٠)</sup> كما جاء في القرآن الكريم: [أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ] <sup>(٥١)</sup>. ومن الصفات الطيبة النظام فالفوضى مفسدة للصبيان ويقتضي النظام من الصبيان الانتظام في الحضور وعند الانصراف من الدرس والتحلي

- بالنظام في الدرس والأعمال المدرسية والعبادات الإسلامية. وخير ما يعود الإنسان عليه الطاعة ولذا كانت ممارستها واجبة، والمعلم مطالب بتعليمها للصبيان باعتبارها أصل الفضائل وعصمة من الرذائل<sup>(٥٢)</sup>.
- ١- إلا يوقع المعلم الضرب إلا على ذنب.  
 ٢- أن يكون العقاب على قدر الذنب.  
 ٣- أن يكون الضرب من واحدة إلى ثلاث، ويستأنن ولي الأمر فيما زاد عن ذلك.  
 ٤- أن يقوم المعلم بالضرب بنفسه ولا يوكله لواحد من الصبيان.

### ● الرفق بالصبيان:

- ان العقوبة مشروعة في الإسلام وجعل الله لنا في القصاص حياة. وقد اقر القابسي مبدأ عقاب الصبيان، لكنه يترفق معهم تمشياً مع روح الإسلام التي تتسم بالرحمة والعفو. وينزل المعلم من الصبي منزلة الوالد. وطالبه بان يكون رفيقا به عادلا في عقابه غير متشدد فيه. ومن الرفق ألا يبادر المعلم إلى العقاب إذا أخطأ الطفل. وانما ينبهه مرة بعد أخرى فإذا لم ينتصح لجأ إلى العقاب. وقد نهى القابسي عن استخدام أسلوب الحرمان من الطعام والشراب في العقاب. بل طلب من المعلم ان يترفق بالصبيان فيأذن لهم بالانصراف إلى تناول الغذاء من طعام وشراب ثم يعودون<sup>(٥٣)</sup>.

### ● نظام الدراسة:

ان نظام الدراسة الذي أشار إليه القابسي يقوم على أساس الدراسة طوال أيام الأسبوع باستثناء يوم الجمعة والنصف الثاني من يوم الخميس. ويخصص مساء الأربعاء وأول الخميس للمراجعة والتدقيق من جانب المعلم للصبيان وتكون الدراسة في أول النهار حتى الضحى مخصصة للقرآن الكريم. ومن الضحى إلى الظهر لتعليم الكتابة. وعند الظهر ينصرف التلاميذ لتناول الغذاء ثم يعودون بعد صلاة الظهر حيث يدرس الصبيان فيما يتبقى من النهار بقية العلوم كالنحو والحساب والشعر<sup>(٥٥)</sup>.

### ● المعلم:

اقتصر القابسي في رسالته على الكلام عن

ان العقوبة مشروعة في الإسلام وجعل الله لنا في القصاص حياة. وقد اقر القابسي مبدأ عقاب الصبيان، لكنه يترفق معهم تمشياً مع روح الإسلام التي تتسم بالرحمة والعفو. وينزل المعلم من الصبي منزلة الوالد. وطالبه بان يكون رفيقا به عادلا في عقابه غير متشدد فيه. ومن الرفق ألا يبادر المعلم إلى العقاب إذا أخطأ الطفل. وانما ينبهه مرة بعد أخرى فإذا لم ينتصح لجأ إلى العقاب. وقد نهى القابسي عن استخدام أسلوب الحرمان من الطعام والشراب في العقاب. بل طلب من المعلم ان يترفق بالصبيان فيأذن لهم بالانصراف إلى تناول الغذاء من طعام وشراب ثم يعودون<sup>(٥٣)</sup>. وهذا يعني ان الدراسة بالكتاب كانت تمتد إلى وقت العصر. ونهى القابسي عن الانتقام في العقاب. ولذا نهى المعلم عن ضرب الصبيان في حالة الغضب حتى لا يكون «ضرب أولاد المسلمين لراحة نفسه»، وأشار القابسي إلى أتباع أسلوب الترغيب والترهيب في معاملة الصبيان فاقر الضرب لعقوبة؛ إلا انه اشترط لها شروطا نلخص أهمها<sup>(٥٤)</sup>:



وأكد القابسي على ان يأخذ المعلم أجرا نظير عمله اما مشاهرة (أي بالشهر) أو مساناة (أي بالسنة). وأعطى للمعلم سلطة كبيرة على الصبي تساوي سلطة الوالد. ولكنه حمل المعلم مسؤولية النتيجة النهائية لعمله. وليس له ان يعتذر عن فساد النتيجة بنقص سلطته أو إلقاء اللوم على الصبيان. ولهذا صح عقاب المعلم ومحاسبته على التقصير في إهماله، وقد يصل العقاب إلى حد منعه من الاشتغال بالتعليم<sup>(٥٨)</sup>.

وشخصية المعلم العقلية ليست في حفظ القرآن الكريم فقط، بل في العمل بما فيه من أسرار ومعانٍ بمعرفة العلوم التي تعتمد على الفهم. ولذا عقد القابسي موازنة بين معلم ومعلم، وفاضل بينهما في العلم، ورفع الأكثر علما على الآخر في الأجر العلمي والمادي إذا إشتراك الاثنان في التعليم<sup>(٥٩)</sup>.

ولذلك تعتبر التربية الإسلامية اسبق من التربية الحديثة في الدول المتقدمة لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية في الأخذ بمبدأ المسؤولية المهنية *Accountability*. وهو المبدأ الذي تحمست له التربية الأمريكية وغيرها في السنوات الأخيرة .

● **ثالثا: نصوص من رسالة القابسي:**  
 « الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين». - ذكر ما أراد بيانه من سياسة معلم الصبيان

معلمي الكتاتيب الذين يتصلون بأولاد العامة وهؤلاء الذين ذاع عنهم الحمق. فليل في أمثال العامة، المثل: «أحمق من معلم كتّاب». وهكذا وصف المعلمون بالحمق وقلة العقل ولم تكن تقبل شهادتهم. وقد انتصر الجاحظ لمعلمي الخاصة وهم المؤدبون الذين كانوا أكثر احتراما من معلمي الصبيان. ولعل هذه الوصمة لحقت بمعلمي الصبية من جراء العناصر الوضيعة التي اشتغلت بالمهنة والممارسات السيئة التي عرفت عنهم مما يتضح مما نهى القابسي المعلمين عنه. ولم تكن هناك شروط يسمح للمعلم بناء عليها بمزاولة المهنة. ولكن كان الأمر يعتمد على الشعور بالقدرة. فمن انس في نفسه المقدرة على التعليم جاز له ذلك. وقد اشتراط القابسي في المعلم معرفة القرآن الكريم والنحو والشعر وأيام العرب إلى جانب شخصيته الدينية وسمعته الطيبة، وفي مطالبة المعلم بعدم الانشغال عن تعليم الصبيان، وعدم طلب الهدايا منهم أو إرسال تلاميذهم في قضاء حوائجهم والحصول على طعام باسمهم في مناسبات الأفراح أو إحضار الطعام والحطب من بيوتهم<sup>(٥٦)</sup>.

ولا يجوز للمعلم ان يترك عمله للصلاة على الجنابة أو السير فيها أو عيادة المرضى أو حضور شهادة البيع والنكاح. وربما من هنا جاءت فكرة عدم قبول شهادة معلم الصبية لانقص فيه ولكن لأنه منهي عن الانشغال عن التعليم وهو واجبه بأعمال أخرى<sup>(٥٧)</sup>.

## - التربية بين الرغبة والرغبة

قال أبو الحسن القاسبي: «فقولك هل يستحب للمعلم التشديد على الصبيان أو ترى ان يرفق بهم ولا يكون عبوساً، لان الأطفال كما علمت تدخل في هذه الوصية المتقدمة، ولكن إذا أحسن المعلم القيام، وعُني بالرعاية، وضع الأمور مواضعها، لأنه هو المأخوذ بأدبهم، والناظر في زجرهم عما لا يصلح لهم، والقائم بإكراههم على مثل منافعهم، هو يسوسهم في كل ذلك بما ينفعهم، ولا يخرجهم ذلك من حُسن رفاقه بهم، ولا من رحمته إياهم فإنما هو لهم عوض عن آبائهم. فكونه عبوساً أبداً من الفظاظة المقوتة، ويستأنس الصبيان بها فيجتثون عليه، ولكنه إذا استعملها عند استهبالهم الأدب، صارت دلالة على وقوع الأدب بهم، فلم يأنسوا إليها، فيكون فيها إذا استعملت أدبا لهم في بعض الأحياء دون الضرب، وفي بعض الأحياء، يوقع الضرب معها، بقدر الاستهبال الواجب في ذلك الجرم. ولكن ينبغي له إلا يتبسط إليهم تبسط الاستثناس في غير تقبضٍ موحش في كل الأحياء، ولا يضاحك أحداً منهم على حال، ولا يبتسم في وجهه، وان أرضاه وأرجاه على ما يجب، ولكنه لا يغضب عليه فيوحشه إذا كان مُحسناً»<sup>(٦٠)</sup>.

## ● التعليم أمانة

قال أبو الحسن القاسبي «.... ومن حقهم عليه ان يعدل بينهم في التعليم، ولا يفضل

بعضهم على بعض، وان تفاضلوا في الجُعل<sup>(٦١)</sup>، وان كان بعضهم يكرمه بالهدايا والإرفاق، إلا ان يفضل من أحب تفضيله في ساعة راحته، بعد تفرغه من العدل بينهم. وذلك من قبل أن القليل الجُعل إنما رضي ان يؤديه أداءه ذلك على إتمام تعليم ولده، كما شرط الرفيع الجعل. إلا ان يبين المعلم لإباء الصبيان انه يفاضل بينهم على قدر ما يصل إليه من العطاء من كل واحد منهم، فيرضون له بذلك، فيجوز له، وعليه ان يفي بما التزم من قدر ذلك»<sup>(٦٢)</sup>.

## ● الخاتمة

من خلال الخوض في تفاصيل محتويات البحث الموسوم بـ «القاسبي وآراؤه التربوية» لابي الحسن القاسبي (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م) واختيارنا نموذجاً من نماذج وأعلام التربية العربية الإسلامية، فوجدنا أن لهذه الشخصية دوراً إيجابياً فعالاً في عصره (٤هـ / ١٠م)، وأن له أهمية علمية وتربوية.

ولاحظنا من خلال بحثنا بوضوح آراء القاسبي التربوية، آراء رجل الفقه المستنبط من القرآن الكريم والسنة النبوية كتلك التي قال بها الرسول (ص) التي تبلغ أحياناً في عمقها ووجهة نظرها العلمية، ما قد يجعلها في مستوى الفكر التربوي المعاصر، وبما كتبه القاسبي في رسالته «الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين»، فقد تعرض إلى موضوع جليل الشأن في كل العصور وفي كل الأمم إلا وهو



التعليم وقضية إعداد المعلمين ومميزات المعلم في وظيفته المهنية التربوية ونجاحه وفشله فيها، التي قد جذبتنا إلى أصول التربية ومدى الالتحام بشؤون الثقافة عموماً على الرغم من اختلاف منابعها من حقول المعرفة إلا أنها تصب في حقل معين من معاني الإنسانية وثقافة إسلامية النهج عربية اللسان موحدة الأصول.

وأيضاً لاحظنا أن التفكير التربوي عند العرب لم يكن متوقفاً على فئة معينة من المجتمع بل التعليم شمل الفقراء والأغنياء وكل فئات المجتمع، وهذا ما اختص واتفق عليه جمهور الفقهاء ومنهم القابسي.

إذن آراء القابسي أكدت على مفهوم التربية عند العرب والتي حددت وجوه الثقافة العربية في أوسع معانيها، والتي ركزت على التعليم (للصبيان والإناث) دون تفرقة ورعاية المتعلمين داخل الأسرة وخارجها، وخضوع هذه الآراء التربوية لسلطان الدين وتكوين العادات الحسنة منذ الصغر ومنها التركيز على تعليم القرآن الكريم والصلاة أولاً، ودراسة الفقه والنحو وغيرها من العلوم ثانياً في المساجد التي بنيت أساساً للعبادة وكانت المنابع والأسس لبناء المدارس وانتشارها وخاصة في القرن (٤هـ/١٠م) وهو عصر القابسي، ومن هذه المدارس مدرسة القيروان في المغرب العربي.

إن متتبع النصوص التربوية التي ذكرها القابسي يجد أنه تطرق إلى قضايا تربوية ما تزال حتى الآن موضوع درس وما من مربٍّ معاصر

إلا وقد أبدى فيها رأياً وله فيها وجهة نظر، من ذلك موقف المعلم من طبيعة الطفل وشخصيته التي تنمو حتى تبلغ مستوى النضج الكامل وميوله النفسية وقدراته العقلية ومسايرة الطفل بكل وسائل التشجيع حتى الوصول والنجاح.

الآراء والطرق التي نادى بها القابسي تتلاقى مع ما نادت وتنادي به المدارس التربوية الحديثة ومنها ما اتبع فعلاً أثناء التدريس وجاءت موصوفة على نحو دقيق تراعي فيه مبادئ التعلم والتعليم في العصر الحديث، إذ هي تقول في التلقين بالسير بالمتعلم من البسيط إلى المعقد، ومن السهل إلى الصعب ومن العام إلى الخاص والحوار والاستجواب.

فالقابسي أحد المربين والمعلمين ورسالة القابسي هي مرآة للعصر الذي عاش فيه، والتعليم الذي وصفه القابسي إقليمياً وليس عاماً، ومع ذلك فهو ضمن قادة التربية في الإسلام، وهو من الفقهاء البارزين الذين نادوا بالتعليم الإلزامي وهو من أدلة التقدم التي تنادي به الدول لنشر ودعم التعليم بكل الوسائل من أجل المعرفة والثقافة لكل الأمم.

بلغ الاهتمام عند القابسي بالمعلمين وإعدادهم إلى حد ضبطه لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين بضوابط دقيقة تعطي لكل ذي حق حقه، وتحول دون ضياع المسؤولية بالتهاون أو التقصير، والإلمام الدقيق بالمادة التي سيعنى المربي بتدريسها، والتمرس

الفعلي بالتدريس، والممارسة الفعلية في ظل الإشراف الموجه ضمن الأنظمة التربوية العربية العديدة بالشرق والمغرب العربيين.

#### ● الهوامش:

(١) قَابَسُ: بكسر الباء الموحدة: مدينة بين طرابلس وسفاقس ثم المهديّة على ساحل البحر فيها نخل وبساتين غربي طرابلس الغرب، بينها وبين طرابلس ثمانية منازل وهي ذات مياه جارية من أعمال إفريقية في الإقليم الرابع. ينظر: ابن ماكولا، الإكمال في رفع الأرتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ج٦، ص ٣٨٠؛ حققه: د. احسان عباس، دار الثقافة، بيروت - لبنان، ١٩٦٨م، م٣، ص ٣٢٢.

(٢) ابن ماكولا، الإكمال، ج٦، ص ٣٨٠؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٣، ص ٣٢٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ، ج٨، ص ١٠٦؛ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م، ص ٥-٦.

(٣) ابن ماكولا، الإكمال، ج٦، ص ٣٨٠؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٣، ص ٣٢٠؛ الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠١٠م، م١١، ص ٨١-٨٢؛ ابن تغري بردي، ج٤، ص ٢٣٣؛ كحالة، عمر رضا، ج٧، ص ١٩٤؛ النجار، إبراهيم، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٥م، ص ٧٤٨.

(٤) القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م)، بيروت - لبنان، ج٣، ص ٦١٦؛ ابن فرحون، مصر، ١٣٢٩هـ، ص ١٩٩؛ ابن الجزري، مصر، ١٣٥١هـ/١٩٣٢م، ج١، ص ٥٦٧.

(٥) التنوخي، معالم الإيمان في معرفة أهل

القيروان، ج٣، ص ١٦٨-١٦٩. (٦) القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج٣، ص ٦٢١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٣، ص ٣٢٠؛ الصفدي، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص ٢٠٢.

(٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٣، ص ٣٢١. (٨) التنوخي، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج٣، ص ١٦٨.

(٩) ن٠م، ج٣، ص ١٦٨-١٦٩. (١٠) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص ٦٢١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٣، ص ٣٢٠؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، م٢، ص ١٨١٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، م١١، ص ٨٢، وتذكرة الحفاظ، ج٣، ص ٢٦٤؛ الصفدي، نكثُ الهميان، ص ٢٠٢؛ ابن الجزري، غاية النهاية، ج١، ص ١.

(١١) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص ٦٢١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٣، ص ٣٢٠. (١٢) التنوخي، معالم الإيمان، ج٣، ص ١٧٠. (١٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، م١١، ص ٨٢. (١٤) ترتيب المدارك، ج٣، ص ٦١٦.

(١٥) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص ٦١٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، م١١، ص ٨٢. (١٦) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص ٦١٨؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص ٢٠١. (١٧) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص ١٨٨.

(١٨) مخلوف، شجرة النور الزكية، ص ٩٧. (١٩) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص ٦١٦-٦١٧؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٣، ص ١٤٥. (٢٠) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص ٦١٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، م١١، ص ٨٢.

(٢١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ١٠٦. (٢٢) ابن الجزري، غاية النهاية، ج١، ص ٥٦٧.



- (٢٣) التنوخي، معالم الايمان، ج٣، ص ١٧٠-١٧١.
- (٢٤) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص ١٧١؛ التنوخي، معالم الايمان، ج٣، ص ١٧١.
- (٢٥) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص ١٧١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٣، ص ٣٢١؛ الصفدي، نكتُ الهميان، ص ٢٠٢.
- (٢٦) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص ١٧١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٣، ص ٣٢١؛ الصفدي، نكتُ الهميان، ص ٢٠٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ١٠٦.
- (٢٧) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص ٢٠١.
- (٢٨) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص ١١٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، م١١، ص ٨٢ وتذكرة الحفاظ، ج٣، ص ٢٦٤.
- (٢٩) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص ١١٨.
- (٣٠) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص ١١٨-٦١٩؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص ٢٠١؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، ص ٩٧.
- (٣١) الالهواني، التعليم في رأي القابسي، ص ١٤.
- (٣٢) كملحق في كتاب، الالهواني، التعليم في رأي القابسي (من علماء القرن الرابع).
- (٣٣) سير أعلام النبلاء، م١١، ص ٨٢ وتذكرة الحفاظ، ج٣، ص ٢٦٤.
- (٣٤) نكتُ الهميان، ص ٢٠٢.
- (٣٥) معالم الإيمان، ج٣، ص ١٧٠.
- (٣٦) هدية العارفين، م١، ص ٦٨٥ وإيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، أعادت طبعه بالوفست المكتبة الإسلامية والجعفرية تبريزي، طهران، ١٣٧٨هـ، م٢، ص ٥٦٦.
- (٣٧) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص ٦٢١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٣، ص ٣٢١؛ النجار، الفكر التربوي عند العرب، ص ٧٤٨.
- (٣٨) ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٣، ص ٣٢١.
- (٣٩) المصدر نفسه.
- (٤٠) ينظر: القابسي، أبو الحسن علي بن محمد بن خلف (ت٤٠٣هـ/١٠١٢م)، الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م، ج١، ص ٢٦٧-٢٩٠، ج٢، ص ٢٩١-٣١٩، ج٣، ص ٣٢٠-٣٤٩.
- (٤١) القابسي، الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، ج١، ص ٢٧٤-٢٨١؛ الالهواني، التعليم في رأي القابسي، ص ٧٩-٨٠.
- (٤٢) القابسي، الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، ج٢، ص ٢٩٢.
- (٤٣) القابسي، الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، ج٢، ص ٢٩٠-٢٩١؛ الالهواني، التعليم في رأي القابسي، ص ٨٣.
- (٤٤) القابسي، الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، ج٢، ص ٢٩٦؛ الالهواني، التعليم في رأي القابسي، ص ٨٤-٨٥.
- (٤٥) القابسي، الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، ج٢، ص ٢٩٣.
- (٤٦) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، صحيح البخاري، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص ٢١، حديث رقم (٥٠).
- (٤٧) القابسي، الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، ج١، ص ٢٧٤، ٢٧٨.
- (٤٨) سورة الحشر، جزء من آية (٧).
- (٤٩) سورة الأحزاب، جزء من آية (٢١).
- (٥٠) القابسي، الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين

- وأحكام المعلمين والمتعلمين، ج ١، ص ٢٧٧؛  
 الاهواني، التعليم في رأي القابسي، ص ١١٣ -  
 ١١٤.  
 (٥١) سورة النساء، جزء من آية (٥٩).  
 (٥٢) الاهواني، التعليم في رأي القابسي، ص  
 ١١٤-١١٩.  
 (٥٣) القابسي، الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين  
 وأحكام المعلمين والمتعلمين، ج ٣، ص ١٢٢-١٢٥.  
 (٥٤) القابسي، الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين  
 وأحكام المعلمين والمتعلمين، ج ٣، ص ٣٤٢-٣٤٣؛  
 الاهواني، التعليم في رأي القابسي، ص ١٣٤-١٣٥.  
 (٥٥) القابسي، الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين  
 وأحكام المعلمين والمتعلمين، ج ٢، ص ٣١٨-٣١٩.  
 (٥٦) القابسي، الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين  
 وأحكام المعلمين والمتعلمين، ج ٣، ص ٣٢٥؛  
 الاهواني، التعليم في رأي القابسي، ص ١٧٨-١٨٢.  
 (٥٧) القابسي، الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين  
 وأحكام المعلمين والمتعلمين، ج ٣، ص ٣٢١-٣٢٢.  
 (٥٨) القابسي، الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين  
 وأحكام المعلمين والمتعلمين، ج ٣، ص ٣١٠، ٣٣٣؛  
 الاهواني، التعليم في رأي القابسي، ص ١٨٨-١٨٩.  
 (٥٩) القابسي، الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين  
 وأحكام المعلمين والمتعلمين، ج ٣، ص ٣٣٨-٣٣٩.  
 (٦٠) القابسي، الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين  
 وأحكام المعلمين والمتعلمين، ج ٢، ص ٣١٣-٣١٤.  
 (٦١) الجُّعل: أجر المعلم العلمي والمادي. ينظر:  
 الأهواني، التعليم في رأي القابسي، ص ١٨٨.  
 (٦٢) القابسي، الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين  
 وأحكام المعلمين والمتعلمين، ج ٢، ص ٣١٥.



# Al-Qabsi And his educational views

By: Assist. Prof. Dr. Nada Abdul Razzak M. Al-Jilawi

Ministry of Education/Iraq

## Abstract

The topic of our research on “Al-Qabsi And his educational views” by Abu Al-Hasan Al-Qabsi, Al-Faqih (jurist), Al-Hafiz, Al-Muhdath and the Al-Mutakalim (speaker), is one of the figures of the Arab Muslims in the (4th AH. /10th AD). century in the Morocco, His book was the “detailed message of the conditions of teachers and the judgments of teachers and learners” in the origins of education and teaching and learning methods, which we have discussed some of his educational views in this research. Al-Qabsi is one of the educators and teachers and the message of Al-Qabsi is a mirror of the age in which he lived and the education which Al-Qabsi described as regional rather than public. However, he is one of the leaders of education in Islam. He is one of the prominent jurists who called for compulsory education, And the education of males and females is one of the evidence of progress advocated by countries to spread and support education by all means for the knowledge and culture of all nations.

